

مبادئ التربية الإجتماعية
في فكر الإمام جعفر الصادق عليه السلام

**Principles of Social Education
in the Ideology of
Imam Al-Sadiq
Peace be upon him**

أ.م.د. محمد ضياء الدين خليل ابراهيم

كلية الإمام الأعظم الجامعة
قسم اللغة العربية

Asst. Prof. Dr. Muhammad D. Ebraheem
Department of Arabic
Universal College of Imam Al-Adham

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي

Turnitin - passed research

من البحوث المشاركة في

مؤتمر العميد العلمي للعالم الثالث

المنعقد تحت شعار

نلتقي في رحاب العميد لنرتقي

وبعنوان

النبي المختار صلوات الله عليه وآله الأظهر سلماً
منبع العلوم الإنسانية ومبدأها

للمدة من ١٧-١٨ أيلول ٢٠١٥م

٣-٤ ذي الحجة ١٤٣٦هـ

برعاية العتبة العباسية المقدسة

A research paper taken from

Al-Ameed Journal Third Global Academic Conference

Under the Auspices of General Secretariat

of Holy Al-Abbas Shrine

held as of 17 to 18 -09- 2015

3 - 4 Thelhujja 1436

Under the slogan

Under the Shade of Al-Ameed

We Do Meet to Augment

CHOSEN PROPHET AND HIS CHASTE

POSTERITY HUMAN SCIENCES FOUNT

AND TRIBUTARIES

ملخص البحث

كان للإمام عليه السلام دور بارز في النظام التربوي الإسلامي، إذ أسهم إسهاماً فاعلاً في دفع عجلة التربية إلى الأمام، فهو مُرَبٌّ قدير تتلمذ على يديه عدد من العلماء البارزين، وقد خَلَفَ من بعده إرشادات وتعاليم وتراثاً موسوعياً يفتح على كل قضايا الإنسان في حياته الفردية والاجتماعية، ولذا أردنا في بحثنا هذا أن نقف على المبادئ التربوية الاجتماعية التي رسمها الإمام للمجتمع حتى ينعم بالأمن والأمان بين أفرادِهِ، ويزرع فيما بينهم المحبة والسلام والمودة، ومن أجل الوصول إلى هذا الهدف قسم البحث على أربعة مطالب، هي: المطلب الأول: وقد جاء بعنوان: ((مبدأ التآخي والتعارف))، وقد تضمن هذا المطلب بيان أهم الأسس التي دعا إليها الإمام من التزاور والتناصف، والتهادي، والتصريح بالحب والمودة، وترك مايكدر المودة. المطلب الثاني: وقد جاء بعنوان: ((مبدأ التعاون والتكافل))، وقد تضمن هذا المطلب بيان أهم القواعد التي دعا إليها الإمام عليه السلام من تأصيل خدمة الناس وقضاء حوائجهم، والحث على الإقراض والإمهال، والدعوة إلى المواساة. المطلب الثالث: وقد جاء بعنوان: ((مبدأ الصدق والأمانة))، وقد تضمن بيان الأسس التي رسمها الإمام عليه السلام في تطبيق هذا المبدأ من إلزام الناس بأداء الأمانات، والتشجيع عليها، والتحذير من الائتمان بغير الصالح. المطلب الرابع: وقد جاء بعنوان: ((مبدأ الإصلاح الاجتماعي))، وقد تناولنا في هذا المطلب أهم المبادئ التي رسمها الإمام عليه السلام في معالجة الخلافات والخصومات الاجتماعية، وإصلاح ذات البين، والعفو ومقابلة الإساءة بالإحسان.

ABSTRACT

He was the imam of so prominent a niche in the Islamic educational system, as sharing an active contribution to advancing education further. He is a meritorious teacher from his hands a number of leading scientists come into light and leaves after him guidance ,teachings and encyclopedic heritage open to all human issues .So the current research paper focuses on the social educational principles of the imam of the community, security, safety in the land ,love ,peace and intimacy.The paper takes four sections:

The first, principle of fraternity and introduction is to ensure the most important foundations called for by the Imam : visiting ,equality, pacifism, declaring love and intimacy and eschewing whatsoever defaces sociality. The second, the principle of cooperation and solidarity, is to ensure the most important rules called for by the Imam of people: planting the seeds of people, serving and achieving their needs ,encouraging people to lend, give time to repay and to console .The third, the principle of honesty and integrity, is to keep the principle of integrity intact ,to stimulate people into its acts and to warn the acts of creditation without good intention. The fourth, the principle of social reform, is to deal with the most important principles drawn by the Imam in addressing social differences and discounts and mending the schisms ,amnesty and doing good to bad.

... المقدمة ...

الحمد لله ربَّ العالمين، وأشرف الصلاة وأتم التسليم على سيد الأولين والآخرين، سيدنا ومولانا محمد المصطفى الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

أمَّا بعد: فمنذ عُرفَ التاريخ والفلاسفة يبحثون عن أفضل السبل للحياة الإنسانية الجيدة على هذه الأرض، ومن ثم يهدفون إلى تحقيق بقائهم وبقاء نظمهم وقيمهم ومبادئهم وقوانينهم وشرائعهم واستمرار أفكارهم ومنتجات عقولهم، وكان سبيلهم في غرس كل هذه المبادئ والمعتقدات والأفكار وزرعها في عقول الأجيال واستمراريتها، هو العملية التربوية التي تنقل هذه المبادئ والأفكار إلى الأجيال، ولم يكن هذا النقل عشوائياً في أيِّ يوم من الأيام بل كان وما يزال وسيبقى منظماً مرسوماً مقنناً ينقل للأجيال اللاحقة بنظام وبخطط تابعة يرضى عنها هؤلاء كما يرضى عنها المجتمع بما فيه من نظم وقيم وأنظمة حكم، ولم تكن هذه العملية جامدة بل كانت متطورة، متغيرة، متدرجة، وهي عملية عالمية لا تقتصر على فئة دون أخرى أو نوع من البشر دون آخر. وهي عملية تعد الإنسان بما يناسبه في حياته اليومية وممارساته الحياتية، فإنَّها تعد الإنسان المفكر الذي يبني اليوم ليسكن غداً وينمو بعد غد ويخلف تراثاً قيماً للأجيال على مرِّ السنين، إنَّها تعد الإنسان القابل للتكيف المتفتح للتطور والازدهار، إنَّها عملية بناء البشر وهي عملية ليست سهلة ولا يمكن التحكم بها كما يبني المهندس عمارة شامخة أو مصانع صناعات قوية إنَّها عملية إنسانية تعنى بالإنسان. فالعملية التربوية عملية مهمة لبني البشر، وأهميتها تكمن في كونها الطريق المنظم لنقل التراث واستمرار بقائه لكل الأمم. وإنَّ

جذور التربية قديمة وفروعها مستحدثة وثمارها تقدمية مستمرة من ثم فهي شجرة باسقة الطول جذورها في أعماق الأرض وفروعها في أعالي السماء. وقد عُرفَ عن الإمام الصادق عليه السلام اطلاعه الواسع وعلمه الغزير، إذ شهد له بذلك الأكابر من العلماء، منهم تلميذه الإمام أبو حنيفة حين نوّه بعلم أستاذه الإمام جعفر الصادق ومقدار فضله حينما سُئل: من أفقه من رأيت؟ فأجاب قائلاً: جعفر بن محمد. وقد كان الإمام جعفر الصادق عليه السلام أحد أبرز العلماء في عصره، فألى جانب علومه الدينيّة، كان عالماً فذاً في ميادين علوم دنيويّة كثيرة، مثل: الرياضيات، والفلسفة، وعلم الفلك، والكيمياء، وغيرها. وقد حضر مجالسه الكثير من أبرز علماء عصره وتلمذوا على يده، ومن هؤلاء أشهر كيميائي عند المسلمين أبو موسى جابر بن حيّان الملقب بأبي الكيمياء. وقد كتبت أقلام كثيرة في علم الإمام الصادق عليه السلام، وخصّصت كتباً وفصولاً في ذلك، منها كتاب ((الإمام الصادق)) للشيخ محمد أبي زهرة الذي يقول فيه: إنَّ للإمام الصادق فضل السبق، وله على الأكابر فضل خاص، فقد كان أبو حنيفة يروي عنه، ويراه أعلم الناس باختلاف الناس، وأوسع الفقهاء إحاطة، وكان الإمام مالك يختلف إليه دارساً راوياً، وكان له فضل الأستاذية على أبي حنيفة فحسبه ذلك فضلاً. وهو فوق هذا حفيد علي زين العابدين عليه السلام الذي كان سيّد أهل المدينة في عصره فضلاً وشرفاً وديناً وعلماً، وقد تتلمذ له ابن شهاب الزهري، وكثير من التابعين، وهو ابن محمد الباقر عليه السلام الذي بقر العلم ووصل إلى لبابه، فهو بمن جعل الله له الشرف الذاتي والشرف الإضافي بكريم النسب، والقراية الهاشمية، والعترة المحمدية.

فقد ملأ الإمام جعفر الصادق عليه السلام الدنيا بعلمه، وعمل على إعداد قيادات واعية، ومعلمين عاملين على نشر الإسلام، وتركزت جهوده العلمية في مختلف الاختصاصات من الفلسفة وعلم الكلام والطب والرياضيات والكيمياء، فضلاً

عن القواعد والأصول الاجتماعية والفقهية كركيزة متينة للتشريع الإسلامي تضمن بقاءه واستمراره، وواجه أخطار الزنادقة والملاحدة بأسلوب مرن وهدوء وورصانة ناقداً وداحضاً آراءهم وحججهم. وقد كان للإمام عليه السلام دور بارز في النظام التربوي الإسلامي، إذ أسهم إسهاماً فاعلاً في دفع عجلة التربية إلى الأمام، فهو مُرَبِّ قدير تتلمذ على يديه عدد من العلماء البارزين، وقد خَلَّفَ من بعده من إرشادات وتعاليم وتراث موسوعي يفتح على كل قضايا الإنسان في حياته الفردية والاجتماعية، ولذا أردنا في بحثنا هذا أن نقف على المبادئ التربوية الاجتماعية التي رسمها الإمام عليه السلام للمجتمع حتى ينعم بالأمن والأمان بين أفرادهِ، ويرزع فيما بينهم المحبة والسلام والمودة، ومن أجل الوصول إلى هذا الهدف قسم البحث على أربعة مطالب، هي:

المطلب الأول: وقد جاء بعنوان: ((مبدأ التآخي والتعارف))، وقد تضمن هذا المطلب بيان أهم الأسس التي دعا إليها الإمام عليه السلام من التزاور و التناصف والتهادي، والتصريح بالحب والمودة، وترك ما يكدر المودة. المطلب الثاني: وقد جاء بعنوان: ((مبدأ التعاون والتكافل))، وقد تضمن هذا المطلب بيان أهم القواعد التي دعا إليها الإمام عليه السلام من تأصيل خدمة الناس وقضاء حوائجهم، والحث على الإقراض والإمهال، والدعوة إلى المواسة. المطلب الثالث: وقد جاء بعنوان: ((مبدأ الصدق والأمانة))، وقد تضمن بيان الأسس التي رسمها الإمام عليه السلام في تطبيق هذا المبدأ من إلزام الناس بأداء الأمانات، والتشجيع عليها، والتحذير من الائتمان بغير الصالح. المطلب الرابع: وقد جاء بعنوان: ((مبدأ الإصلاح الاجتماعي))، وقد تناولنا في هذا المطلب أهم المبادئ التي رسمها الإمام عليه السلام في معالجة الخلافات والخصومات الاجتماعية، وإصلاح ذات البين، والعفو ومقابلة الإساءة بالإحسان. وختاماً: نرجو أن تكون هذه الدراسة قد أعطت الموضوع حقه، وأن يفيد منها الباحثون، مثلما أفاد البحث من غيره.

المطلب الأول

مبدأ التأخي والتعاطف

تشكل قاعدة التأخي والتعاطف أساساً مهماً في القيم الإسلامية الاجتماعية، ((وهذه القاعدة تكون بأن يجب الإنسان غيره لوجه الله، دون ابتغاء نفع أو مصلحة))^(١)، وهي تقود إلى سيادة الأخلاق الخيرة وسط الجماعة، وتشجع الأفراد على التضحية وتقديم كل مساعدة ممكنة للآخرين، وفعل كل بر يمكنهم القيام به.

والتعبير عن العاطفة بين المؤمنين بالأخوة يرسم عمق الصلة المتقابلة بين الناس، والتي تكون فريدة في شبكات العلاقات الاجتماعية المتنوعة، وقد اهتم الإمام الصادق عليه السلام بترسيخ هذه الصلة الوثيقة بين تلاميذه من طريق منهجه التعليمي التربوي بقوله: ((تواصلوا وتباروا وكونوا إخوة بررة كما أمركم الله عز وجل))^(٢). وربط المجتمع برباط الحب والمودة والإخاء بقوله: ((فاتقوا الله في إخوانكم المسلمين فإنَّ لهم عليكم حقاً أن تحبّوهم...))^(٣).

وقد كان الإمام عليه السلام يسعى دوماً إلى إيجاد المواقف التي توطن روح الأخوة والمحبة بين تلاميذه، فكان يرشدهم إلى ما يعزز بقاء المودة بينهم، وذلك عبر أمور كثيرة، منها:

أولاً: التزاور: يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام لتلاميذه: ((تزاوروا وتلاقوا وتذاكروا أمرنا وأحيوه))^(٤)؛ لأنَّ اختلاط المؤمنين ببعضهم يولد الحب فيما بينهم، ويقوي عزائمهم على فعل الخير، وتجعل كلا منهم يذكر من نسي ذكر الله.

ثانياً: التناصف: وَجَّهَ الإمامُ عليه السلام تلاميذه إلى مستلزمات الأخوة، فقال: ((يحتاج الاخوة فيما بينهم إلى ثلاثة أشياء، فإن استعملوها وإلا تباينوا وتباغضوا، وهي: التناصف، والتراحم، ونفي الحسد))^(٥)، فمفهوم الإنصاف أن لا يرضى المرء لنفسه بشيء إلا رضي لأخيه مثله.

ثالثاً: التهادي: أوصى الإمام عليه السلام تلاميذه أن يتبادلوا الهدايا قائلًا: ((تهادوا تحابوا فإنَّ الهدية تذهب الضغائن))^(٦)؛ لأنَّ من شأن هذه الظاهرة الجميلة تعميق جذور المحبة والمودة بين أفراد المسلمين.

رابعاً: التصريح بالحب والمودة: قال الإمام الصادق عليه السلام لأحد تلاميذه: ((إذا أحببت رجلاً فأخبره بذلك، فإنه أثبت للمودة بينكما))^(٧)، لاشكَّ أنَّ تدريب النفس على ممارسة هذا السلوك اللفظي ليسهم بنحو فعَّال في تحقيق التكيف مع الآخرين، فإذا أعرب المرء عن محبته لأخيه فإنه يوثق بينهما وشائج الاخوة الإيمانية ويرعى كل منهما حقوق هذه الأخوة القائمة على الحب في الله.

خامساً: ترك ما يكره المودة: قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام لأحد تلاميذه: ((إن أردت أن يصفو لك ود أخيك فلا تمازحنه، ولا تمارينه، ولا تباهينه))^(٨).

وبين الإمام عليه السلام كذلك أنَّ مفهوم التآخي بين المسلمين ليس من قبيل العواطف والتمنيات فقط، وإنما هو عبارة عن حقوق ومسؤوليات ثقيلة تلقى على عواتقهم جميعاً، ولذا حين سئل الإمام عليه السلام عن حق المسلم على المسلم أجاب: ((له سبعة حقوق وواجبات، وما منهنَّ حق إلا وهو عليه واجب، إن ضيع منها شيئاً خرج عن ولاية الله في طاعته ولم يكن له الله فيه نصيب))، ثم قال: ((أيسر حق منهنَّ أن تحب له ما تحب لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك، الحق الثاني: أن تجتنب سخطه، وتتبع مرضاته، وتطيع أمره، الحق الثالث: أن تعينه بنفسك، ومالك

ولسانك ويدك ورجلك، الحق الرابع: أن تكون عينه ودليله ومرآته، الحق الخامس: أن لاتشبع ويجوع، ولاتروي ويظمأ، ولاتلبس ويعرى، الحق السادس: أن يكون لك خادم وليس لأخيك خادم، فواجب أن تبعته فيغسل ثيابه، ويصنع طعامه، ويمهد فراشه، الحق السابع: أن تبرّ قسمه، وتجب دعوته، وتعود مريضه، وتشهد جنازته، وإذا علمت أنّ له حاجة تبادره إلى قضائها ولا تلجئه أن يسألكها، ولكن تبادره مبادرة فإذا فعلت ذلك وصلت ولايتك بولايته وولايته بولايتك))^(٩).

وهكذا كان الإمام الصادق عليه السلام يجتهد في غرس تلك المفاهيم والقيم النبيلة في نفوس تلاميذه ليجعلهم جماعة مثالية في مودتهم وأخوتهم وتعاطفهم.

المطلب الثاني

مبدأ التعاون والتكافل

تكتمل صورة الاهتمام بالمسؤولية الاجتماعية في مدرسة الإمام الصادق عليه السلام بتأكيد مبدأ التعاون والتكافل. وهذا الأساس يقوم على الأخوة الصادقة بين المؤمنين، ومفهومه «التناصر بين أفراد المجتمع ليسد بعضهم حاجات بعض، ويسند الضعفاء الأقوياء، وكذلك التناصر بينهم في القيام بأعباء العمل الصالح، فيقوي القادرون منهم على ذلك الضعفاء فيه بمختلف معاني القوة والضعف»^(١٠).

وهذا ما عبر عنه الإمام الصادق بقوله مستشهداً بكلام جده رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: ((وليعن بعضكم بعضاً فإنَّ أبانا رسول الله صلى الله عليه وآله، كان يقول: إنَّ معاونة المسلم خير، وأعظم أجراً من صيام شهر واعتكافه في المسجد الحرام))^(١١). فالإمام عليه السلام يريد بناء جماعة مؤمنة يكون التكافل بينهم مادياً ومعنوياً، ولذلك قال: ((المؤمن خدم بعضهم بعضاً، وعندما سئل كيف؟ قال: يفيد بعضهم بعضاً))^(١٢).

فقد بينت مدرسة الإمام الصادق عليه السلام الصورة التي يريد بها الإسلام للعلاقة بين أفراد مجتمعه بكل جوانبها، وقامت بتوطيد روح التكافل والتعاون الجماعي في نفوس تلاميذها، عبر مشاريع اجتماعية متعددة، يمكن تلخيصها في ما يأتي:

أولاً: تأصيل خدمة الناس وقضاء حوائجهم

وهي من أروع صور التكافل الاجتماعي، التي تقوم على أساس المساعدة الطوعية النابعة من نفس الإنسان وقناعته التامة بتلبية حاجات الآخرين.

وقد أشار الإمام عليه السلام إلى أن فوائد مساعدة الآخرين وخدمتهم لا تعود على صاحب الحاجة فقط، بل يعم نفعها قاضي الحوائج نفسه كما يعم المجتمع أيضاً، فقال: ((أيما مؤمن أتى أخاه في حاجة، فإنما ذلك رحمة من الله ساقها إليه وسببها له، فإن قضى حاجته كان قد قبل الرحمة بقبولها، وإن رده عن حاجته وهو يقدر على قضائها فإنما رده عن نفسه رحمة من الله جلّ وعزّ ساقها إليه وسببها له...))^(١٣).

وهكذا حثّ الإمام عليه السلام تلاميذه على التعاون والتكافل بلسان واضح وصريح، فقال: ((إن الله خلق خلقاً من رحمته لرحمته، وهم الذين يقضون الحوائج للناس، فمن استطاع منكم أن يكون منهم فليكن))^(١٤).

ولم يقتصر الإمام عليه السلام في دعوته على تلبية الحاجات الخاصة فقط، بل لفت أنظار تلاميذه إلى حاجات إنسانية أخرى قد لا يتتبع عليها عادة، فقال: ((إسراع الأصم من غير تضجر صدقة هنيئة))^(١٥). فإسراع الأصم من الأمور المستحلية، إلا أن في هذه الدعوة إشارة إلى اتباع الأسلوب المناسب الذي يستطيع الشخص به إيصال ما أمكنه من أنواع المساعدة إلى الشخص المحتاج.

ونرى في جهود الإمام عليه السلام في التربية تأكيده بذل أقصى الجهد والسعي في قضاء حوائج الآخرين، واعتبار عدم تأديتها خيانة، فقال: ((أيما رجل من أصحابنا استعان به رجل من إخوانه في حاجة فلم يبالغ فيها بكل جهده فقد خان الله ورسوله والمؤمنين))^(١٦).

ولم يكتف الإمام عليه السلام بذلك، بل دعا الإنسان الذي قد لا يتمكن من قضاء حوائج غيره بنفسه أو بماله أن يسعى في قضائها عند من يستطيع، وهذا ما ورد في وصيته بقوله: ((الماشي في حاجة أخيه كالساعي بين الصفا والمروة، وقاضي حاجته كالمتشحط بدمه في سبيل الله...))^(١٧).

ثانياً: الحث على القرض والإمهال

مارس الإمام الصادق عليه السلام هذا الأمر قولاً وفعلاً ليجسد للمسلمين الأسس المتينة لبناء المجتمع التعاوني الذي ينشط مع الجهد الجماعي، فهو يجعل المؤمن يرى نفسه في الآخرين ويرى الآخرين في نفسه، فيدفع لاحتمال إلى التكافل والتناصر، فقال: ((أحبوا للناس ما تحبون لأنفسكم))^(١٨). وقد نالت الدعوة إلى التكافل الاقتصادي حيزاً كبيراً من تعاليم الإمام عليه السلام الموجهة إلى طلابه، فعمل على تشجيعهم لنصرة المحتاجين في مرافق الحياة، وتوفير حاجاتهم وذلك عبر إقراض المؤمنين وسد حاجاتهم بطريقة تحفظ ماء وجوههم، وهو من أرفع الأمور التي يتقرب بها المسلم إلى الله، وقد ورد عن الإمام الصادق في الحث على هذا المعروف بقوله: ((لئن أقرض قرضاً أحب إليّ من أن أتصدق بمثله))^(١٩). فالقرض من وجهة نظر الإمام عليه السلام بمنزلة الصدقة بل ربما هو أفضل إذ إنّه يحفظ المال لصاحبه، ويصون كرامة المقترض، فلا يجوجه إلى ذل السؤال.

ولفت الإمام عليه السلام إلى أنّ من أخلاقيات المقرض وآدابه أن يُنظرَ المعسر إلى وقت الإيسار، ولا يجوز لهم مضايقته أو التشديد عليه، فقال في وصية طويلة كتبها إلى أصحابه: ((يَأْكُم وإِعْسَارُ أَحَدٍ مِنْ إِخْوَانِكُمُ الْمُسْلِمِينَ أَنْ تَعْسُرُوهُ بِشَيْءٍ يَكُونُ لَكُمْ قَبْلَهُ وَهُوَ مَعْسَرٌ، فَإِنَّ أَبَانَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: لَيْسَ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَعْسُرَ مُسْلِمًا

ومن أنظر معسراً أظله الله يوم القيامة بظله يوم لا ظل إلا ظله))^(٢٠). وليس مثل هذا في تعاليم الإمام عليه السلام نظرية فحسب، بل هو يراقب تلاميذه بأن يطبقوها ويجسدها في واقعهم العملي مثلما قال أحد تلاميذه، قلت لأبي عبد الله: إن لي على رجل ديناً وقد أراد أن يبيع داره فيعطيني، فقال الصادق: ((أعيدك بالله أن تخرجه من ظل رأسه، أعيدك بالله أن تخرجه من ظل رأسه))^(٢١).

ثالثاً: الدعوة إلى المواساة والإغاثة

يرى الإمام الصادق عليه السلام بأن المواساة من مقاييس القرب إلى الله، فقال لتلاميذه: ((تقربوا إلى الله بمواساة إخوانكم))^(٢٢)، وهو يعدها من أشد ما افترض الله على خلقه، مثلما عدها من علامات الصدق في الأخوة، فقال: ((الإخوان ثلاثة: مواسٍ بنفسه، وآخر مواسٍ بهاله، وهما الصادقان في الإخاء، وآخر يأخذك منك البلغة ويريدك لبعض اللذة، فلا تعده من أهل الثقة))^(٢٣).

وتتحقق المواساة بتفريغ الكرب عن المكروبين وإغاثة الملهوف، وإدخال السرور في قلب المؤمن سواء عبر الموقف أو الكلمة أو أي طريق مناسبة، وقد انطلق الإمام من تعاليم جده رسول الله ﷺ في التناصر المعنوي النفسي بين المؤمنين، فقال: ((من أغاث أخاه المؤمن اللهفان عند جهده، فنفس كربته وأعانه على نجاح حاجته، كتب الله عزَّ وجلَّ له بذلك عند الله اثنتين وسبعين رحمة من الله، ويعجل له منها واحدة يصلح بها معيشته ويدخر له إحدى وسبعين رحمة لأفراع يوم القيامة وأهواله))^(٢٤).

وهكذا دعا الإمام الصادق عليه السلام المجتمع الإسلامي بأفراده جميعاً إلى التكافل المادي والمعنوي، إلا أنه عدَّ دور الأغنياء في هذا المعروف دوراً خاصاً ومميزاً، فحين

دخل إليه رجل، سأله الإمام: كيف خلّفت إخوانك؟ فأحسن الثناء عليهم، فقال: ((كيف عيادة أغنيائهم على فقرائهم؟ قال الرجل: قليلة، قال الإمام: كيف مساعدة أغنيائهم لفقرائهم؟ قال: قليلة، قال الإمام: فكيف يزعم هؤلاء أنّهم أتباعنا))^(٢٥) وكانَّ الإمامَ عليه السلام يرى في مواساة الأغنياء للفقراء ومساعدتهم شرطاً لإغناء عنه للتلميذ في مدرسته.

ولكي يرفع الإمام وتيرة السعي والجد في خدمة الآخرين، قام بتذكير المتعلمين لديه بهذا الجانب المهم وهي حاجتهم الدائمة إلى توفيق الله تعالى وتسديده، حتى يلزمهم بالدعاء والطلب، فقال: ((وليس كل من يجب أن يصنع المعروف إلى الناس يصنعه وليس كل من يرغب فيه يقدر عليه، ولا كل من يقدر عليه يؤذن له فيه فإذا اجتمعت الرغبة والقدرة والإذن فهنالك تمت السعادة للطالب والمطلوب إليه))^(٢٦).
فهذه المواقف تعطينا صورة واضحة بمدى إيلاء الإمام هذا المبدأ أهمية كبيرة، وتركيزه في ذهن الأمة.

المطلب الثالث

مبدأ الصدق والأمانة

أساس الحياة الاجتماعية للإنسان هو العمل على المستوى الجماعي، ولا يتسنى ذلك إلا بأن يتعامل أفراد المجتمع فيما بينهم من موقع الثقة المتبادلة واعتماد بعضهم على الآخر، وهذا المعنى لا يتحصل إلا بتوافر عنصري الصدق والأمانة بينهم.

ولذلك عدَّ الإمام الصادق عليه السلام مبدأ الصدق والأمانة من المبادئ المهمة التي يجب الالتزام بها في دائرة العلاقات الاجتماعية، فالصدق «هو تطابق الكلام مع الواقع سواء كان الواقع الخارجي أم الباطني»^(٢٧)، فهو يرمز إلى الطهارة في الذات والبعد عن الرذيلة، وله تأثير في جميع أعمال الإنسان وسلوكياته، مثلما قال الإمام الصادق عليه السلام: ((من صدق لسانه زكى عمله))^(٢٨).

وكذلك «الأمانة هي التزام الواجبات الاجتماعية وأداؤها خير أداء»^(٢٩)، وهي لا تحصر في أضيق معانيها و حدودها، أي: في إطار قيام الإنسان بحفظ ما يودع لديه من مال، بل تكون شاملة للقيام بجميع التكليف و الالتزامات الاجتماعية والأخلاقية، مثلما أشار إلى ذلك الإمام الصادق عليه السلام، فقال: ((لا يكون الأمين أميناً حتى يؤتمن على ثلاثة فيؤديها: على الأموال والأسرار والفروج، وإن حفظ اثنين وضيع واحداً فليس بأمين))^(٣٠).

إنَّ «الأمانة تدعو الإنسان إلى صدق الحديث كما أنَّ صدق الحديث يدعو الإنسان إلى الأمانة في الجهة المقابلة؛ لأنَّ صدق الحديث نوع من الأمانة في القول

والأمانة نوع من الصدق في العمل، على هذا الأساس فإنَّ هاتين الصفتين ترتبطان بجذر مشترك وتعبيران عن وجهين لعملة واحدة^(٣١).

فالمؤمن الحقيقي هو الذي يتحرك في سلوكه من موقع الصدق ومراعاة الأمانة بصورها المختلفة، ويهتم بالحفاظ عليها من موقع المسؤولية وأداء الوظيفة، لهذا تكررت في كثير من وصايا الإمام عليه السلام هذه العبارة: ((عليكم بصدق الحديث وأداء الأمانة))^(٣٢)، مثلما كان يوصي بهما كل من دخل عليه من أصحابه ومن فارقه.

ومن هنا نرى أنَّ تربية الأفراد على انتهاج هذا الخط حتمي بعناية خاصة من الإمام عليه السلام وذلك في توجيهاته للأمة، نذكر أهمها في ما يأتي:

أولاً: إلزام الناس بأداء الأمانة إلى صاحبها

يرى الإمام الصادق عليه السلام أنَّ الأمانة خلق كريم يدل على يقظة ضمير الإنسان وإحساسه بالمسؤولية المنوطة به، فيتولاها ويوجه تلاميذه إلى أدائها للمسلم وغير المسلم؛ لأنَّ اختلاف الدين لا يمنع الشخصية المسلمة من أداء الحقوق إلى صاحبها، فقال: ((أدوا الأمانات إلى أهلها وإن كانوا مجوساً))^(٣٣)، حتى وصل إلى أبعد من ذلك فأكد هذه المسؤولية عبر شخصه هو بأنَّ يؤدي الأمانة ولو كان لقاتل جده علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال: ((اتقوا الله، عليكم بأداء الأمانة إلى من ائتمنكم، فلو أنَّ قاتل علي ائتمني على أمانة لأديتها إليه))^(٣٤)، وهذا لا شكَّ أنَّه لتعظيم لأهمية الأمانة وأدائها ورفع شأنها.

ثانياً: التشجيع على هذا المبدأ من خلال عرض القدوة

جاء الحث من الإمام عليه السلام على الصدق والأمانة من خلال تجسيده هذه الفضيلة عملياً في واقع الأمة، فهو يذكر المكانة الرفيعة للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام عند رسول الله ﷺ ثم يشير إلى سبب نبيله هذه المكانة، ليتمكن تلاميذه من الاقتداء بأنموذج حي في حياتهم، فقال لأحد تلاميذه: ((انظر ما بلغ بسببه علي بن أبي طالب عليه السلام عند رسول الله ﷺ، فالزمه، فإنَّ علياً عليه السلام إنما بلغ ما بلغ به عند رسول الله ﷺ بصدق الحديث وأداء الأمانة)) (٣٥).

ثالثاً: وضع هذا المبدأ معياراً لمعرفة الأشخاص

يعد الإمام الصادق عليه السلام الأمانة والصدق علامتين بارزتين في سلوك المؤمن، فقال: ((لاتنظروا إلى طول ركوع الرجل وسجوده فإنَّ ذلك شيء اعتاده، ولو تركه استوحش لذلك، ولكن انظروا إلى صدق حديثه وأمانته)) (٣٦). فلا قيمة لطول الركوع والسجود ولا اعتبار بكثرة الصيام والقيام، بل الميزان الذي يقيّم على أساسه إيمان الرجل، هو صدق حديثه ومدى التزامه بالأمانة.

رابعاً: التركيز على النتائج الإيجابية لهذا المبدأ في التعامل الاجتماعي

لم يترك الإمام عليه السلام تأكيد معطيات الصدق والأمانة في الحياة الاجتماعية، وهي تقوم على المحبة في النفوس، وكثرة التعامل وثقة الناس في ما بينهم، فقال في وصيته لأحد تلاميذه: ((عليك بصدق الحديث وأداء الأمانة، تشارك الناس في أموالهم هكذا و شبك بين أصابعه)) (٣٧).

فالجمع بين الأصابع إشارة إلى عملية الاندماج العلمي والروحي بين أفراد المجتمع من طريق تعاملهم مع بعضهم وتشاركهم في معظم أمور حياتهم.

خامساً: التحذير من الائتمان بالفاسق

وجه الإمام عليه السلام المودع للأمانة وصاحب المال لأن يكون ذكياً في اختيار الشخص المؤمن، وألا يكون ساذجاً بحيث يودع أمانته لدى أي شخص كان، فقد جاء رجل إلى الإمام عليه السلام فقال له: إني أئتمنت رجلاً على مال وأودعته عنده فخاني وأنكر مالي، فأجاب الإمام عليه السلام: ((لم يخنك الأمين ولكن أئتمنت الخائن)) (٣٨).

فالإمام ينطلق في كلامه من نظرة واقعية لها وجهان: الأول: أن الأمين لا يخون، ولو كان في أمس الحاجة إلى ما تحت يده، أو إلى ما أودع لديه، فإنه يعف ويحافظ على حقوق الآخرين ويؤديها إليهم. الثاني: أن الإمام عليه السلام لا ينفي وجود من يخون الأمانة ويترك الوفاء، فهذه حقيقة واقعية لها مصاديق بين الناس.

إذن فهذه الحادثة ينبغي أن تضيف إلى المرء خبرة جديدة تجعل عقله أكثر تفتحاً ويقظة، حتى لا يعود مرة أخرى لائتمان الخائن، ولا ينساق إلى اتهام من جرب أمانته ووفاه، مثلما قال الإمام عليه السلام في موطن آخر: ((ليس لك أن تأمن الخائن وقد جربته، وليس لك أن تتهم من ائتمنته)) (٣٩).

المطلب الرابع

مبدأ الإصلاح الاجتماعي

لا يخفى على أحد ما للإصلاح الاجتماعي من أهمية قصوى ودور فعال في توفير السلام واستتباب الأمن والشعور بالطمأنينة وسيادة العدل بين أفراد المجتمع الواحد. ولا جرم أن له موقعاً خاصاً في التربية الاجتماعية، فهو من التغييرات الإيجابية في المجتمع التي تساعد على تحوله نحو الأفضل وتوجهه نحو الأصوب، وتثبت خطى أفرادها على الطريق الأقوم والنهج الأسلم. ونظراً لأهمية هذا المبدأ والسعي إلى ترجمته عملياً، فإن الإمام الصادق عليه السلام كان ينمي لدى تلاميذه الشعور بالمسؤولية تجاه سلوك الآخرين، ومحاولة التغيير والإصلاح في المجتمع، فهو يريد أن يرقّي الفرد من عضو عادي إلى فرد رسالي يتحمل مهمة توجيه الآخرين وتقويم انحرافاتهم. وقد أوجب الإمام عليه السلام على الإنسان المؤمن الوقوف في وجه الانحراف والعصيان، ومحاولة تغيير ما يجري حوله من خلاف، فإن لم يستطع هذا الإنسان أن يقوم بأدنى تغيير أو تأثير، فيرى الإمام في هذا الحال ضرورة الكف عن مجالستهم والتواصل معهم، حتى لا يكون سبباً في تشجيعهم على الاستمرار في ارتكاب المعاصي والمحرمات، فيقول: ((لا ينبغي للمؤمن أن يجلس مجلساً يعصي الله فيه ولا يقدر على تغييره))^(٤٠). وعلى مستوى التخطيط للقيام بالتغيير، يعتمد الإمام عليه السلام فكرة التدرج في العمل الاجتماعي والتغيير الإصلاحي فيه، تبعاً لقوة الإيمان عند الناس، فيقول: ((إن الإيمان عشر درجات بمنزلة السلم يصعد منه مراقبة مراقبة، فلا يقولنّ صاحب الاثنتين لصاحب الواحدة لست على شيء حتى ينتهي إلى العاشرة، فلا تسقط من هو دونك فيسقطك من هو فوقك وإذا رأيت من هو

أسفل منك بدرجة، فأرفعه إليك برفق، ولا تحملنَّ عليه ما لا يطيق فتكسره، فإنَّ من كسر مؤمناً فعليه جبره))^(٤١). يستفاد من هذا النص أنَّ التدرج أمر أساس يدخل في صلب النظام التربوي للإمام؛ لأنَّه لا يمكن لأي شخص تقبل فكرة تغيير ما اعتاد عليه من تصرفات وأعمال أو اعتقادات دفعة واحدة، بل يتحقق ذلك تدريجياً بكثير من الرفق واللين في التعامل. ومن أهم المشكلات التي قد تهدد الجماعات البشرية، نشوء الخلافات وأسباب الفرقة المؤدية إلى التنازع، وهو الطريق الحتمي للفشل والوهن، وقد نهى الله عن التنازع فيما بين المؤمنين، فقال عزَّ وجلَّ ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (الأنفال: ٤٦). فالتنازع والخلاف والخصومة من أهم أسباب الفساد والانحراف بين أفراد المجتمع، كما أنَّها تؤدي إلى هدر الطاقات البشرية، واستنزاف القدرات الخلاقية في غير أماكنها، وهدم بنية الجماعات، وقلع أسس المودات والصدقات. وقد أدرك الإمام عليه السلام خطورة هذا الأمر، فشدد فيه وحذَّر من عواقبه، فقال: ((إِيَّاكَ وَكَثْرَةَ الْخُصُومَاتِ فَإِنَّهَا تَبْعُدُكَ مِنَ اللَّهِ))^(٤٢)، وحذر من مخاطرها على الأجواء النفسية والاجتماعية بقوله: ((إِيَّاكُمْ وَالْمِرَاءَ وَالْخُصُومَةَ فَإِنَّهَا يَمْرُضَانِ الْقُلُوبَ عَلَى الْإِخْوَانِ، وَيَنْبِتُ عَلَيْهَا النِّفَاقَ... وَمَنْ زَرَعَ الْعَدَاوَةَ حَصَدَ مَا بَدَرَ))^(٤٣). وعلى هذا فإنَّ من أبرز مظاهر إصلاح المجتمع المؤدية إلى صحته وسلامته، العمل على فض النزاعات وإزالة الخصومات ومعالجة الخلافات، التي تسمح للفرد أن يعيش في كنف مجتمع ينعم بالسلام والأمن والاستقرار.

والمصلح الاجتماعي الذي يتربى في مدرسة الإمام الصادق عليه السلام لا يتوانى عن استئصال بذور الاختلاف من تربية المجتمع فهو المسارع دوماً نحو تقريب أفراد المجتمع، فيتحلى بناؤه بالمحبة والإخاء، ويشبكون أيديهم متحدين في مواجهة أعدائهم ومؤازرة أصدقائهم. ولطالما كان سلوك الإمام عليه السلام مرآة تعكس هذه المثل والإرشادات التربوية الإصلاحية في كل مناسبة، فقد روي أنَّ الإمام الصادق

عليه السلام إذا مرَّ بجماعة يختصمون لا يجوزهم حتى يقول ثلاثاً: ((اتقوا الله، اتقوا الله، ويرفع بها صوته))^(٤٤). والإمام الصادق عليه السلام مصلح تربوي قدّم لنا طرقاً الناجعة إلى حل هذه المشكلات، وواجهها باعتماد أسلوبين: الوقاية والعلاج. وأسلوب الوقاية يتمثل في السعي إلى حل المشكلات قبل حدوثها، أي: أن يتم التركيز على زرع الأصول والمبادئ الأخلاقية في نفوس المؤمنين؛ لأنها كفيّلة بتمتين العلاقات السلمية وتحسينها والابتعاد عمّا يثير الحساسيات والعصبيات بين الأفراد. أمّا أسلوب العلاج فيتمثل في السعي إلى حل المشكلات بعد حدوثها، أي: أن يتم السعي إلى إزالة آثار الحقد والبغض من القلوب، وتعويد النفوس وتربيتها على ردات الفعل الصحيحة والسليمة، ومن أبرز هذه الأساليب:

أولاً: تجنب جذور الخلافات والخصومات

إنّ معرفة الأسباب المؤدية إلى النزاع وتجنبها تعد مدخلاً مهماً يوصلنا إلى تقليل فرص حصول مثل هذه النزاعات، وتدخل في أساس الإجراءات الوقائية عند الإمام الصادق عليه السلام، لا بل إنّها تدخل في صميم منهجه التربوي الذي حذّر بشدة من تباعد المسلمين واختلاف كلمتهم وتشتت شملهم، وكذلك لتحسين هذا المجتمع وصيانتة من التفتت والانحيار. ولأنّ المجال لايسمح للإحاطة بكل ما يمكن اعتياده من الأساليب الإصلاحية، لذا سنختار منها نماذج من جذور الخلاف التي عرفها الإمام وحذر الأمة منها، وهي:

١. تتبع العثرات والعيوب: قد لايسلم إنسان من نقاط ضعف وعيوب في شخصيته وسلوكه وأخلاقه، إلا أنّ الإمام عليه السلام حذر من التركيز والحديث الدائم عن هذه النقاط وإثارتها، كما عدها ابتعاداً عن الله لما لها من أثر في

تعميق حالة الكراهية، فقال: ((أبعد ما يكون العبد من الله أن يكون الرجل يؤاخي الرجل، وهو يحفظ عليه زلاته ليعيره بها يوماً ما))^(٤٥). وشدد عليه السلام على عدم اعتبار نقاط الضعف والعيوب التي تحدثنا عنها هدفاً دائماً، نصوب ألسنتنا نحوه، فنصيبه بما يؤدي إلى أذيته لا إلى تصويبه وتقويمه، فقال: ((إياكم والتعرض لعيوب الناس، فمنزلة المتعرض لعيوب الناس كمنزلة الهدف))^(٤٦).

٢. الاستهزاء والاحتقار: إنَّ السخرية من الآخرين وتحقيرهم، تشكل تهديداً لوجود المجتمع، وأقل أضراره تتمثل في نفور الناس وكرهيتهم لمن يسخر منهم؛ لأنَّ مبعث ذلك الغرور بالنفس واعتقاد المستهزئ بكونه أفضل من كل من هم حوله، وهذا سيؤدي حتماً إلى زوال التعاطف بين أفراد المجتمع، وقد أشار الإمام عليه السلام إلى هذا فقال: ((لا يطمعنَّ المستهزئ بالناس في صدق المودة))^(٤٧).

٣. النميمة والسعاية: شبه الإمام الصادق عليه السلام النمام بالساحر الذي يفرق بين الأحبة بسحره، فتكلم في حديث مختصر عميق المغزى عن دور النميمة التخريبي الهدام في المجتمع قائلاً: ((إنَّ من أكبر السحر النميمة يفرق بها بين المتحابين ويجلب العداوة على المتصافين، ويسفك بها الدماء ويهدم الدور وتكشف بها الستور، والنمام أشر من وطأ على الأرض بقدم))^(٤٨).

٤. الجدل والمراء: نهى الإمام عليه السلام عن الجدل المذموم الذي لا يراود به وجه الله كما نهى عن المراء، وبما أنَّهما يمثلان آفة من أشد الآفات التي تسبب الخصومة وتفرق صفوف الأمة، فقال: ((إِيَّاكَ والمراء فَإِنَّهُ يجبط عملك، وإِيَّاكَ والجدال فَإِنَّهُ يوبقك))^(٤٩).

٥. الغيبة: لا ينظر الإمام عليه السلام إلى الغيبة رذيلة أخلاقية فحسب، بل هو يراها من العوامل الهدامة لشخصيات الأفراد في المجتمع، والتي تجعلهم يسقطون في أحوال الحقد والبغضاء والعداوة، فنجد الإمام يتمثل شدة قبح عمل المغتاب إلى درجة أن الشيطان نفسه يتبرأ من رفقته وصحبته ويستقبح قبول ولايته، فقال: ((من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروءته ليسقط من أعين الناس أخرجه الله من ولايته إلى ولاية الشيطان فلا يقبله الشيطان))^(٥١).
٦. التهمة: يقول الإمام الصادق عليه السلام بهذا الصدد: ((من اتهم أخاه في دينه فلا حرمة بينهما))^(٥٢)، إنَّ في كلام الإمام عليه السلام هنا إظهاراً للأثر السلبي لاتهام المؤمن أخاه، والتشكيك في نزاهته وصدق نواياه وغيرها؛ لأنَّ في ذلك إسقاطاً للكرامات وتعدياً على الكرامات وعدم الشعور بالأمان والطمأنينة بين الأفراد.
٧. السب واللعن: من المؤكد أنَّ توجيه الشتائم للآخرين وإهانتهم من طريق السب أو اللعن أو غيره، سيتسبب بمزيد من الشحناء والبغضاء، وسيبقى أثره في النفوس، وإن توصل المتنازعون إلى صلح بينهم فيما بعد، وقد نقل الإمام عليه السلام إلينا كلاماً في ذلك ورد على لسان جده رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: ((سباب المؤمن كالمشرف على الهلكة))^(٥٣)، وكذلك حذر من التلاعن بين أفراد الأمة الإسلامية بقوله: ((إنَّ اللعنة إذا خرجت من صاحبها ترددت بينه وبين الذي يلعن... فاحذروا أن تلعنوا مؤمناً فيحل بكم))^(٥٤).

ثانياً: التغافل وحسن الظن

ثمة تدابير وقائية أولاها الإمام الصادق عليه السلام اهتماماً خاصاً، بهدف منع حدوث الخلافات والخصومات في المجتمع، وهذه التدابير تتمثل في اعتماد التغافل

وحسن الظن، ((والتغافل يعني أن يكون المرء عالماً بالشيء ومطلعاً عليه ثم يتعمد بإرادته أن يظهر نفسه وكأنه لا يعرف شيئاً عنه))^(٥٥). وإذا كان هذا التغافل بهدف ستر العيوب الخفية للآخرين، والتغاضي عن زلاتهم التي لا ينبغي إظهارها، فهو من صفات المؤمنين الحميدة، ودليل على عظمة الفرد وكرامته، كما يعد من العوامل الرئيسة لإصلاح المجتمع. وقد تناول الإمام الصادق عليه السلام في نهجه التربوي هذا الموضوع قائلاً: ((صلاح التعايش التعاشر ملء مكيال ثلثاه فطنة وثلثه تغافل))^(٥٦). فالإمام الصادق عليه السلام يحرص كل الحرص على أن يعيش الناس مع بعضهم في أمن ووثاق، وفي جو من الثقة المتبادلة وعدم الإسراع إلى تصديق ما يسمعه عن أصدقاء أو إخوان لهم، فروي أنَّ أحد تلاميذه قال له: يبلغني عن الرجل من إخواني ما أكرهه، فأسأله فينكر ذلك وقد أخبرني عنه الثقات، فأجاب الإمام عليه السلام في ذلك: ((إذا بلغك عن أخيك شيء وشهد أربعون أنهم سمعوه منه، فقال: لم أقل، فاقبل منه))^(٥٧). وفي كلام الإمام الصادق عليه السلام تشديد واضح على أهمية الثقة في الحياة الاجتماعية؛ لأنها تشكل أساساً متيناً للتعامل المشترك بين أفرادها، فهو يشجع المسلم على أن يمر على زلات الآخرين مرور الكرام من موقع سعة الصدر، وحفظاً لماء وجههم، واتقاء من انتشار الحقد والبغضاء فيما بينهم.

ثالثاً: إصلاح ذات البين

إنَّ من أهم الوسائل التي اعتمدها الإمام الصادق في علاج النزاعات والخصومات بين أفراد المجتمع هي إصلاح ذات البين. ولذا فقد بذل الإمام الصادق عليه السلام أقصى جهده في حث المؤمنين وترغيبهم بإصلاح ذات البين حتى اعتبره أفضل الصدقة، فقال: ((صدقة يحبها الله: إصلاح بين الناس إذا تفسدوا وتقارب بينهم إذا تباعدوا))^(٥٨). وفي المقابل عدَّ الإمام عليه السلام أقبح الأعمال عنده هو

أن يبادر أحد الطرفين المتنازعين إلى الصلح مع الآخر، فيمد يده إليه فيقبض الآخر عنه يده ولا يستجيب لمباردته، فقال في ذلك: ((ملعون رجل ييدؤه أخوه بالصلح فلم يصالحه))^(٥٩).

رابعاً: العفو ومقابلة الإساءة بالإحسان

المشاكل الاجتماعية بين الأفراد إنما تبدأ بخطأ من طرف أو شخص، فإذا قوبل الخطأ بتصرف من جنسه رد فعل عليه، ترسخت المشكلة وتعمقت، لذلك نجد أن الإمام عليه السلام يدعو في تربيته الاجتماعية إلى العفو والصفح عن المسيئين، ويعد مقابلة الإساءة بالإحسان من أهم الأساليب المتبعة لعلاج الخصومات وإطفاء ثورة النزاعات. وعلى هذا الأساس يستنكر الإمام الصادق وجود الحقد في قلب المؤمن، بقوله: ((حقد المؤمن مقامه، ثم يفارق أخاه فلا يجد عليه شيئاً))^(٦٠). وتبلورت هذه المسألة كذلك في وصية الإمام عليه السلام لعبدالله بن جندب بن جنادة، إذ قال له: ((يا ابن جندب صل من قطعك وأعط من حرمك وأحسن إلى من أساء إليك وسلم على من سبك وأعف عمن ظلمك كما أنك تحب أن يعفى عنك ألا ترى أن شمسك أشرفت على الأبرار والفجار وأن مطره ينزل على الصالحين والخطائين))^(٦١). وهكذا يظهر لنا أن الإمام عليه السلام عمل في رسالته التربوية على مستويين في وقت واحد، فهو حينما عمل على إزالة التناقضات الاجتماعية من الساحة، فقد عمل في الوقت نفسه على القضاء على منبع تلك التناقضات من النفس الإنسانية التي يتقاسمها الهوى والإيمان. وهذه المشاريع التي تقدمت هي كلها نماذج من الوعي الاجتماعي الذي سعى الإمام الصادق عليه السلام إلى ترويجه في المجتمع والتي تربي الفرد وتعدده روحياً وأخلاقياً وثقافياً ليبنى مجتمعاً صالحاً يسوده الخير والحب والوئام^(٦٢).

... النتائج ...

أما النتائج التي توصل إليها البحث فيمكن ذكرها على النحو الآتي:

١. كان للإمام عجلته دور بارز في النظام التربوي الإسلامي، إذ أسهم إسهاماً فاعلاً في دفع عجلة التربية إلى الأمام عجلته، فهو مُرَبٌّ قدير تتلمذ على يديه عدد من العلماء البارزين، وقد خلف من بعده إرشادات وتعاليم وتراثاً موسوعياً يفتح على كل قضايا الإنسان في حياته الفردية والاجتماعية.
٢. تشكل قاعدة التأخي والتعاطف أساساً مهماً في القيم الإسلامية الاجتماعية، وقد اهتم الإمام الصادق عجلته بتسيخ هذه الصلة الوثيقة بين تلاميذه من خلال منهجه التعليمي التربوي.
٣. بينت مدرسة الإمام الصادق عجلته الصورة التي يريدها الإسلام للعلاقة بين أفراد مجتمعه بكل جوانبها، وقامت بتوطيد روح التكافل والتعاون الجماعي في نفوس تلاميذها، عبر مشاريع اجتماعية متعددة.
٤. أساس الحياة الاجتماعية للإنسان هو العمل على المستوى الجماعي، ولا يتسنى ذلك إلا بأن يتعامل أفراد المجتمع فيما بينهم من موقع الثقة المتبادلة واعتماد بعضهم على الآخر، وهذا المعنى لا يتحصل إلا بتوافر عنصر الصدق والأمانة بينهم. ولذلك عدَّ الإمام الصادق عجلته مبدأ الصدق والأمانة من المبادئ المهمة التي يجب الالتزام بها في دائرة العلاقات الاجتماعية.

٥. كان الإمام الصادق عليه السلام ينمي لدى تلاميذه الشعور بالمسؤولية تجاه سلوك الآخرين، ومحاولة التغيير والإصلاح في المجتمع، فهو يريد أن يرقّي الفرد من عضو عادي إلى فرد رسالي يتحمل مهمة توجيه الآخرين وتقويم انحرافاتهم.
٦. ظهر لنا من البحث أنّ الإمام عليه السلام عمل في رسالته التربوية على مستويين في وقت واحد، فهو حينما يعمل على إزالة التناقضات الاجتماعية من الساحة، فقد عمل في الوقت نفسه على القضاء على منبع تلك التناقضات من النفس الإنسانية التي يتقاسمها الهوى والإيمان.

١. الأخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة: ١٠٧.
٢. أصول الكافي، ج ٢، باب التراحم والتعاطف، ح ٢.
٣. تحف العقول: ٣١٥.
٤. تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ١٧٩/٢.
٥. تحف العقول: ٣٢٣.
٦. الخصال: ٢٧.
٧. أصول الكافي، ج ٢، باب إخبار الرجل بحبه، ح ٢.
٨. بحار الأنوار: ٢٩١/٧٥.
٩. أصول الكافي، ج ٢، باب حق المؤمن، ح ٢.
١٠. الإيمان بالله وأثره في الحياة: ٢٠٧.
١١. بحار الأنوار: ٢١٧/٧٥.
١٢. أصول الكافي، ج ٢، باب أخوة المؤمنين، ح ٩.
١٣. أصول الكافي، ج ٢، باب قضاء حوائج المؤمنين، ح ٥.
١٤. العقد الفريد: ٢٣٥/١.
١٥. وسائل الشيعة: ١٣٤/١٢.
١٦. المحاسن: ٩٨/١.
١٧. تحف العقول: ٣٠٣.
١٨. مشكاة الأنوار: ٣٣٣.

١٩. وسائل الشيعة: ١٣/ ٨٧.
٢٠. فروع الكليني: ٨/ ٩.
٢١. الاستبصار: ٣/ ٦.
٢٢. الخصال: ٨.
٢٣. تحف العقول: ٣٢٤.
٢٤. أصول الكافي: ج ٢، باب تفريج كرب المؤمن، ح ١.
٢٥. بحار الأنوار: ٦٥/ ١٦٨.
٢٦. الفصول المهمة من معرفة الأئمة: ٢١٦.
٢٧. الأخلاق في القرآن: ٣/ ١٨٦.
٢٨. الأمالي: ٢٤٥.
٢٩. أخلاقنا الاجتماعية: ٧٦.
٣٠. تحف العقول: ٣١٦.
٣١. الأخلاق في القرآن: ٣/ ١٦٢.
٣٢. وسائل الشيعة: ج ٨، باب أحكام العشرة، ح ٢، ٧، ٨.
٣٣. الإمام الصادق والمذاهب الأربعة: ٤/ ٣٣٣.
٣٤. تهذيب الأحكام: ٦/ ٣٥١.
٣٥. أصول الكافي: ج ٢، باب الصدق، ح ٥.
٣٦. بحار الأنوار: ٨/ ٦٨.
٣٧. فروع الكليني: ج ٥، باب أداء الأمانة، ح ٩.
٣٨. من لا يحضره الفقيه: ٣/ ٣٠٥.
٣٩. الفصول المهمة في معرفة أصول الأئمة: ٢/ ٢٩٣.
٤٠. وسائل الشيعة: ١١/ ٥٠٣.
٤١. أصول الكافي: ج ٢، باب درجات الإيمان، ح ٢.
٤٢. تحف العقول: ٣٠٩.
٤٣. أصول الكافي: ج ٢، باب المرء والخصومة، ح ١.
٤٤. تهذيب الأحكام: ٦/ ١٨٠.
٤٥. منية المرید: ٣٣١.
٤٦. سير أعلام النبلاء: ٢٦٣.
٤٧. بحار الأنوار: ٧٢/ ١٤٤.

٤٨. المصدر نفسه: ٢١/٦٠.
٤٩. تحف العقول: ٣٠٩.
٥٠. الاختصاص: ٣٢.
٥١. أصول الكافي: ج ٢، باب التهمة وسوء الظن، ح ٢.
٥٢. أصول الكافي: ج ٢، باب السباب، ح ١.
٥٣. وسائل الشيعة: ٦١٣/٨.
٥٤. الأخلاق من منظور التعايش والقيم الإنسانية: ٢٧٥.
٥٥. تحف العقول: ٣٥٩.
٥٦. موسوعة الإمام الصادق: ٢٣٠/١٥.
٥٧. مشكاة الأنوار: ٣٠٩.
٥٨. بحار الأنوار: ٢٣٦/٧١.
٥٩. المصدر نفسه: ٢١١/٧٢.
٦٠. موسوعة الإمام الصادق: ٢/٢٥٢.
٦١. ينظر: الفكر التربوي الإسلامي عند الإمام جعفر الصادق: ٣٣١.

المصادر والمراجع

١. الاختصاص: محمد بن نعمان المفيد، تحقيق: علي أكبر غفاري، ط ٢، جماعة المدرسين، قم، إيران.
٢. الأخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة: أسعد السحمراني، دار النفائس، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م.
٣. الأخلاق في القرآن: ناصر مكارم الشيرازي، مكتبة الجيل الشباب، قم، إيران، ٢٠٠١م.
٤. الأخلاق من منظور التعايش والقيم الإنسانية: محمد تقي فلسفي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م.
٥. أخلاقنا الاجتماعية: مصطفى السباعي، دار السلام، القاهرة، مصر، ١٤١٨هـ.
٦. الاستبصار: محمد بن الحسن الطوسي، ط ٤، دار الكتب الإسلامية، قم، إيران، ١٤٠٦.
٧. الإمام الصادق والمذاهب الأربعة: أسد حيدر، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، ٢٠٠١م.
٨. الأمالي: ابن بابويه محمد بن علي بن الحسين القمي (الصدوق)، مؤسسة البعثة، قم، إيران، ١٤١٧هـ.
٩. الإيمان بالله وأثره في الحياة: عبدالمجيد عمر النجار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٧٧م.
١٠. بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي، ط ٢، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م.
١١. تحف العقول عن آل الرسول: أبو محمد الحسن بن علي بن شعبة الحراني، تحقيق: علي أكبر غفاري، ط ٢، جماعة المدرسين، قم، إيران، ١٤٠٤هـ.
١٢. تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: أبو الفوارس الأشتري، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٦٩م.
١٣. تهذيب الأحكام: محمد بن الحسن الطوسي، ط ٤، دار الكتب الإسلامية، قم، إيران، ١٤٠٦هـ.
١٤. الخصال: ابن بابويه محمد بن علي بن الحسين القمي (الصدوق)، تحقيق: علي أكبر غفاري، جماعة المدرسين، قم، إيران.
١٥. سير أعلام النبلاء: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م.
١٦. العقد الفريد: ابن عبد ربه الأندلسي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م.
١٧. الفصول المهمة في معرفة أصول الأئمة: الحر العاملي، تحقيق: محمد القائني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣م.

١٨. الفصول المهمة من معرفة الأئمة: ابن الصباغ المالكي، دار الأضواء، بيروت ، لبنان، ١٩٨٨م.
١٩. الفكر التربوي الإسلامي عند الإمام جعفر الصادق: الدكتورة حسناء ديامه، المكتبة العصرية، صيدا ، بيروت، ٢٠١٠م، ١٤٣١هـ.
٢٠. الكافي (أصول وفروع): لأبي جعفر محمد بن يعقوب، تحقيق: علي أكبر غفاري، ط٢، دار الكتب الإسلامية، إيران، ١٣٨٨هـ.
٢١. المحاسن: أحمد بن محمد البرقي، دار الكتب الإسلامية، إيران.
٢٢. مشكاة الأنوار في غرر الأخبار: لفضل بن حسن الطبرسي، دار الكتب الإسلامية، إيران، ١٣٨٥هـ.
٢٣. من لايحضره الفقيه: ابن بابويه محمد بن علي بن الحسين القمي (الصدوق)، تحقيق: علي أكبر غفاري، ط٢، جماعة المدرسين، قم، إيران، ١٤٠٤.
٢٤. منية المريد من آداب المفيد والمستفيد: زين الدين العاملي الشامي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران، ١٤٠٥هـ.
٢٥. موسوعة الإمام الصادق: سيد كاظم القزويني، مطبعة سيداء الشهداء، قم ، إيران، ١٤١٥هـ.
٢٦. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشيعة: محمد بن الحسن (الحر العاملي)، تحقيق: عبد الرحيم الرباني الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، لبنان.